جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

إسهام المواطن في العمل الوقائي من أخطار الجريمة والانحراف

د. عبدالرحمن أحمد عسيري

٢٠٠٣م

إسهام المواطن في العمل الوقائي من أخطار الجريمة والانحراف

د. عبد الرحمن محمد عسيري

أهمية الوعي الاجتماعي بمخاطر الجريمة والانحراف

لكل مجتمع من المجتمعات مثله وفضائله، وقيمه، وأعرافه، وقوانينه التي على ضوئها يتم تقييم سلوك أفراده ومحاسبتهم، ومهما اختلفت المجتمعات في قيمها وأيدلوجياتها إلا إنها جميعا تؤمن بأن هناك حدوداً فاصلة بين الفضيلة والرذيلة تجبر أفرادها على الوقوف عندها وعدم تجاوزها.

وبالرغم من أن تلك الحدود تعد أموراً نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر وفقا لاختلاف النظم والقوانين، إلا أن الإلتزام بتلك الحدود أمر ضروري تلزمه الجماعة لأفرادها وتجبرهم على اتباعها. ويعد الخروج عليها انحرافاً في السلوك أو جريمة تستحق العقاب وكلما كان المجتمع مترابطاً وصارما في تطبيق قوانينه ونظمه كلما كان أفراده أكثر وعياً وتمسكاً بتلك النظم. وحينما يتساهل المجتمع في تطبيق تلك القوانين والنظم تعم الفوضى وينتشر الفساد وتضعف الأمة.

ولذا نجد أن اللّه سبحانه وتعالي يشير في محكم آياته إلى إن هلاك الأمم يرتبط بفسادها قال تعالي: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الإسراء)، وفي ذلك يقول ابن خلدون «إن البشر إذا انغمسوا في الحضارة والترف وافرطوا فيها ظهر الفساد بينهم فيكثر الفسق والشر والسفه والتحايل على تحصيل المعاش من وجهة ومن غير وجهة وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلاعة والسرقة والفجور في الإيمان والربا في المبايعات. ثم تجدهم أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه وطرح الحشمة في الخوض فيه حتى

بين الأقارب وذوي المحارم الذين تقتضي البداوة الحياء منهم في إقذاع بذلك. وتجدهم أيضاً أبصر بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه أن ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح. حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لأكثرهم إلا من عصمه الله. ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة أذن الله بخرابها وانقراضها (ابن خلدون، ١٣٩٤هـ، ٣٧٢-٣٧٣).

كما قد لعن الله الكافرين من بني اسرائيل لمجاهرتهم بالمعصية وعدم الاكتراث بها قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة).

وعليه فإن الوعي بمخاطر الجريمة والانحراف ضرورة اجتماعية تقتضيها طبيعة الحياة البشرية، لأن عواقب الانحراف والجريمة لا تقتصر على مرتكبيها أو ضحاياهم بل تمتد لتصل أطرافاً أخرى، لا علاقة لها بالجريمة والانحراف سوى كونهم أقارب للمجرم أو المنحرف ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

١- يتسبب المجرم أو المنحرف في ضياع أسرته إن كان له أسرة، وتشرد أبنائه إن كان له أبناء، ونبذ أسرته في المجتمع. فعلى سبيل المثال أوضحت دراسة (السعيد، ١٤١٧هـ: ١٣١-١٣٢). إن من المشكلات التي ربما يتسبب فيها سجن رب الأسرة التسرب الدراسي لأفراد أسرة السجين، فقد اتضح أن (٣٥٪) من أسر المسجونين لديهم أبناء في سن المدرسة ولكنهم غير ملتحقين بالمدارس. كما أن غياب رب الأسرة يكون سبباً أساسياً في سوء الحالة الاجتماعية للأسرة، فقد اتضح أن الحالة

الاجتماعية (٩٠٪) من أسر المسجونين كانت أفضل في السابق حينما كان رب الأسرة يعيش معهم. إضافة إلى سوء العلاقة والجفاء الذي ربما يتسبب فيه سجن رب الأسرة حيث أن علاقة رب الأسرة بأفراد أسرته ربما تسوء أثناء وجوده في السجن أو بعد خروجه منه».

كما أن انحراف رب الأسرة وسجنه قد يؤثر في تعامل الآخرين مع أفراد أسرته، حيث يقابلونهم بالنبذ، فلا يتزوجون بناتهم، ولا يزوجون أبناءهم، كما أنهم قد يضطرون إلى التواري عن الآخرين خوفاً من الفضيحة والعار الذي سببه لهم أبوهم أو قريبهم بسجنه أو انحرافه.

٢ـ التأثير السيئ والقدوة السيئة: فالمنحرف غالباً ما يؤثر في المحيطين به من أسرة وأصدقاء، وتزداد خطورة التأثير بازدياد مكانة الشخص المنحرف أو دوره فتأثير الأب المنحرف أو الأم ربما تكون أكبر من تأثير الآخرين وذلك لكونهما يمثلان الشخصية القيادية التي يتأثر بها أفراد الأسرة. لذا فإن انحراف شخص واحد في الأسرة ربما يكون بداية لانهيار أسرة بكاملها. بل ربما يتجاوز الأمر إلى المجتمع المحيط بالمنحرف من أقارب وجيران، وأفراد الحي. فالمراهق المنحرف في الحي مثلاً قد يكون له من قوة التأثير على أبناء الحي الشيء الكثير حيث يستطيع أن يزين لهم دروب الشر والرذيلة، ويسهل عليهم الولوج فيها. ويستعرض أمامهم بطولاته الوهمية والسعادة التي يعيشها جراء انحرافه مما يجعله عاملاً قوياً لجرف العديد من أبناء الحي والأقارب خارج نطاق الأسرة. فانحراف أي فرد في المجتمع لا يقتصر على الفرد ذاته بل يتجاوزه إلى المحيطين به.

٣. نشر الأمراض والأوبئة بين المحيطين بالمنحرف من أسرة وأصدقاء وأقارب، فالممارسون للرذيلة أو الانحراف أو ما شابه ذلك غالباً ما يصابون ببعض الأمراض الجنسية، أو بعض الأمراض الأخرى التي ربما لا تظهر للعيان. مما يجعلهم يتكتمون على ذلك بين معارفهم وأسرهم مما يسهل نقل الأمراض إلى أشخاص أبرياء لا علاقة لهم بالانحراف مثل زوجاتهم، أو أقاربهم عن طريق المخالطة أو المعاشرة. وقد يتسبب الشخص المنحرف في إصابة شريكه ذكراً كان أو أنثى عن طريق الزواج مما يقتضي ضرورة تفعيل النضج الاجتماعي في أهمية التأكد من أن كل شخص يتقدم للزواج خال من الأمراض المعدية. وكذلك التأكد من سلوكه وحسن استقامته دون حياء أو خجل، حتى يمكن وقاية المجتمع من أخطار التأثيرات السلبية للمنحرفين، والمجرمين وتحجيم تأثيرهم في المجتمع المحيط بهم.

فالوعي بخطورة الانحراف والجريمة ضرورة اجتماعية يجب على كل فرد أن يعيها ويعلمها، فالفضيلة والاستقامة لا يمكن تفعيلها في المجتمع إلا بتضافر أفراده على الإيمان بأهميتها وحرصهم على تطبيقها.

ثانياً: إسهام المواطن في الجهود الوقائية كواجب ديني

محاربة الفساد والجريمة تعد من أهم أولويات المسلم، حيث أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى أهمية ذلك في حياة المسلم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران).

كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّ... ﴿١١٠﴾﴾ (آل عمران).

وقد أخبر الله تعالى عن أهل نصرته وولايته بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في قوله تعالى : ﴿ الذين إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ . . . ﴿٤١﴾ ﴾ (الحج)، كما قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . . ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة).

وفي السنة المطهرة العديد من الأحاديث التي تشير إلى ضرورة محاربة المؤمن للفساد والانحراف، يقول صلى الله عليه وسلم : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم : النووي : ١٠٣) وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه »وحلق باصبعيه الإبهام والتي تليها فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون» قال نعم إذا كثر الخبث» متفق عليه (النووي : ١٠٦).

كما قال الرسول ﷺ «ما ظهرت الفاحشة في قوم أعلنوا بها قط إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا» (رواه بن ماجة).

وقد أخبر ﷺ في قوله «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعلوا إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

وعندما سأل أبو ثعلبه النبي ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ قال له الرسول ﷺ «يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن

المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال : لا، بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً» (رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي).

ولذا فإن السكوت على الفساد يعد مخالفاً لقوانين الشريعة، فمحاربة الانحراف واجب ديني. وبالرغم من أهمية ذلك إلا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يترك في الشريعة الإسلامية دون ضوابط بل إن هناك آداباً عامة يفترض توفرها لمن أراد القيام بذلك منها :

١ ـ ان يكون عالماً بحقيقة ما يأمر به من معروف في الشرع وأنه قد ترك بالفعل كما يكون عالماً بحقيقة المنكر الذي ينهى عنه ويريد تغييره وأن يكون قد ارتكب حقيقة وأنه مما ينكره الشرع من المعاصي والمحرمات.

٢ ـ ان يكون ورعاً لا يأتي الذي ينهى عنه ولا يترك الذي يأمر به.

٣ ـ ان يكون حسن الخلق حليما يأمر بالرفق وينهى باللين.

٤ ـ ان لا يتعرف إلى المنكر بواسطة التجسس. إذ لا ينبغي لمعرفة المنكر أن يتجسس على الناس في بيوتهم أو يرفع ثياب أحدهم ليرى ما تحتها، أو يكشف الغطاء ليعرف ما في الوعاء لأن الله أمر بستر عورات الناس ونهى عن التجسس عنهم والتجسس عليهم، قال تعالى : ﴿ ... ولا تجسسوا ... ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات)، كما قال ﷺ «من ستر مسلما ستره الله في الدينا والآخرة» (الجزائري، ١٣٩٩ : ٧٣ـ٧٤).

وعليه يتضح أنه بالرغم من أهمية محاربة الفساد والانحراف إلا أن هناك العديد من الضوابط التي يجب على المسلم أن يتحلى بها لكي يقوم

بذلك، حتى لا يكون هناك نتائج عكسية ربما تضر بأمن الأمة وتدعو إلى التطرف في الدعوة والغلو في الدين مما ينتج عنه أضرار جسيمة لا تقل خطورتها عن خطورة الفساد ذاته.

ثالثاً: وسائل إسهام المواطن في العمل الوقائي من الجريمة والانحراف:

هناك العديد من الوسائل التي يمكن للمواطن أن يتبعها للوقاية من الجريمة والانحراف منها ما هو وسائل ذاتية تعود إلى شخص الفرد ذاته بصفته إنساناً مكلفاً، ومنها ما يعود إلى الفرد بصفته مسؤولاً وسوف نناقش كل من هذه الوسائل في كلتا الحالتين.

١ ـ الوسائل الوقائية الذاتية للفرد

الوقاية الذاتية والبدء بالذات تعد من أهم الأمور التي يجب أن تؤخذ في الحسبان للوقاية العامة من الجريمة والانحراف، ويتمثل ذلك في عدة أمور منها:

١ ـ تقوية الايمان واتباع اوامر الله واجتناب نواهيه، حيث إن تقوية الإيمان لدى الفرد يساعد على الاستقامة وحسن الخلق، فالإيمان يعد درعاً واقياً من الجريمة والانحراف يقول ﷺ «لا يزني الزاني وهو مؤمن. ولا يسرق السارق وهو مؤمن» ويعني ذلك صحيح الإيمان، فإن المؤمن الحق هو الذي يخاف الله في السر والعلن ويكون خوف الله رادعاً له من ارتكاب الجريمة.

٢ ـ تحصين النفس ضد الأهواء، وذلك بسد الذرائع والوسائل المؤدية إلى الانزلاق في الانحراف أو الجريمة. والتي ترتبط مباشرة بالغرائز

الأساسية للإنسان، واتباع الطرق المشروعة لإشباعها فغريزة التكاثر يمكن إشباعها بالزواج، كما أباح تعدد الزوجات، ثم وضع الإسلام ضوابط أخرى تمنع من إشباع هذه الغريزة بالطرق غير المشروعة والتي ربما تفضي إلى الانحراف والزنا وهي الصوم لمن لم يستطع الباءة، وكذلك أمر الجميع بغض البصر، كما أمر النساء بعدم التبرج إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية التي تؤدي إلى احداث الاستقرار وتحصين النفس والأسرة من الوقوع في الزنا ولا سيما وأن غريزة الجنس من أشد الغرائز إلحاحاً وأكثرها خطراً على الفرد والمجتمع.

كما أمر الشارع أن يعمل المسلم لكسب قوته وسد حاجته إلى الطعام والمال ورغب في العمل وحث عليه وذلك لدرء المفاسد الاقتصادية التي تنشأ عن الفقر كالسرقة، والتسول، وما شابه ذلك، إضافة إلى العديد من الضوابط المساعدة على تحصين النفس والذات والارتقاء بالفرد من مستوى الانسياق للغريزة البهيمية إلى استخدام العقل والمنطق، وقد كان ﷺ يستخدم أسلوب العقل والمنطق لإقناع محدثيه.

ولعل قصة الصحابي الذي طلب من الرسول ﷺ أن يأذن له بالزنا، فقال ﷺ في أسلوب حكيم هل ترضى أن يزنى باختك، هل ترضى أن يزنى بأمك، وقد استطاع ﷺ أن يقنع الرجل بقبح الرذيلة والفساد بأسلوب منطقي وحكيم.

٣- الابتعاد عن قرناء السوء: وذلك لما لهم من تأثير مباشر على الفرد في تزيين الرذيلة وتحسينها، والتهوين من أخطارها، وقد ضرب ﷺ في ذلك أروع مثال حينما قال «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»، حيث أوضح ﷺ أن جليس السوء إذا لم يؤذك

بشكل مباشر فأنه يؤذيك بشكل غير مباشر كنافخ الكير الذي يؤذي برائحه كيره ويحرق بشرر ناره جليسه، وهناك مئات الدراسات العلمية التي تؤكد هذا الجانب، وتوضح التأثير المباشر لقرناء السوء في العود إلى الجريمة والانحراف.

٤ ـ المحافظة على الممتلكات الشخصية: حث الشارع سبحانه وتعالى على ضرورة المحافظة على الممتلكات الشخصية وأسقط عقوبة القصاص لمن قاتل دفاعاً عن عرضه أو ماله أو دينه.

كما ضرب الرسول ﷺ مثالاً في ضرورة المحافظة على الممتلكات الشخصية والحرص عليها وذلك من خلال أمره ﷺ الرجل أن يعقل ناقته أولا ثم يتوكل «أعقلها وتوكل»(*) ولم يقل له اتركها وتوكل. ولذا فالفرد المسلم مطالب بالحرص واليقظة، حتى لا يعطي مجالاً لضعاف النفوس من استغلاله، فالتهاون الشخصي والثقة المفرطة ربما تساعد ضعاف النفوس على تنفيذ مخططاتهم بيسر وسهوله.

ولعل سجلات الأمن العام توضح بجلاء أن هناك نسبة عالية من جرائم السرقة تتم كنتيجة لتهاون المواطن ذاته، فتشير دراسة بدر الدين (١٤٠٤هـ) إلى العديد من النماذج السلوكية للمواطنين التي تساهم في تشجيع ارتكاب السرقات مثل التهاون في جرد الموجودات على العاملين في المحلات التجارية مما يشجع العاملين على الاختلاس، أو الثقة المفرطة في العاملين مما يشجع على السرقة، أو ترك المتجر مفتوحا دون وجود أحد بداخله، أو

(*) السيوطي، الجامعالصغير ٢/ ٥٢٨ برقم ٨١٣٠.
(*) السيوطي، الجامع السغير ١/ ١٨٠ برقم ١١٩١

التهاون في إغلاق المنازل بصورة جيدة، أو ترك المركبة مفتوحة أو ربما في وضع الدوران والذهاب لفترة قصيرة ليعود فلا يجدها. أو ترك المنزل مفتوح الأبواب أو النوافذ والسفر ليعود فلا يجد أثاثه.

ومثلما أن المسلم مطالب بالمحافظة على ممتلكاته الشخصية فهو مطالب أيضا بالمحافظة على أسرته قال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) فأسرة الفرد إذا لم يحافظ عليها ويتابع سلوك أعضائها ويقوم معوجها فهو بذلك يجعلهم عرضة للانحراف فكما المواطن المسلم مطالب بالمحافظة على ممتلكاته وسد كل الذرائع المؤدية إلى السطو عليها وعدم تسهيل الفرصة للآخرين لاستغلاله أو سلب حقوقه فهو أيضا مطالب بالمحافظة على أفراد أسرته وتجنب أفرادها كل ما يضر بها.

فالمواطن إذا ما تعاون على حفظ ماله وأهله فإنه يساهم بطريقة فاعلة في الوقاية من الانحراف وإقفال الأسباب المؤدية إليها، فهو يعد الركيزة الأساسية للأمن فهو رجل الخط الأول بينما رجل الأمن يعد مرحلة لاحقة ربما تكون علاجية أكثر منها وقائية والوقاية أهم من العلاج، كما أن معالجة السبب المؤدي للانحراف والجريمة أهم وأنجع من معالجة الجريمة بذاتها.

٢ ـ التعاون مع أجهزة الأمن:

أما الجانب الآخر من وسائل الوقاية لمكافحة الجريمة والانحراف فتتمثل في تعاون المواطن مع أجهزة الأمن، ويتمثل هذا التعاون في العديد من الوسائل منها:

ـ البلاغ عن كل ما يخل بالأمن:

فتعاون المواطنين مع أجهزة الأمن في الإبلاغ عن كل ما يشتبه به يعد

خطوة إيجابية لمحاصرة الجريمة، ووسيلة ناجعة لمحاربة الفساد والانحراف، فعندما يتحول كل مواطن إلى رجل أمن فإن ذلك سيؤدي إلى تقليص الجريمة والانحراف إلى أبعد حد، ويعد تعاون المواطنين من أبناء الحي في محاربة الجريمة مطلباً اجتماعياً يجب السعي إليه. حيث أن مثل ذلك يعد وسيلة ناجعة لمحاربة الجريمة في الكثير من المجتمعات، ففي مجتمع مثل بريطانيا على سبيل المثال تقوم جمعية الجيران البريطانية التي وصل عدد أعضائها إلى عشرة ملايين شخص بتدريب وتنظيم سكان الأحياء ليقوموا بمساعدة الشرطة في حراسة الأحياء التي يسكنونها عبر القيام بدوريات ليلية منظمة، وقد زاد عدد أعضاء هذه الجمعية بسرعة فائقة حيث بلغ معدل الزيادة السنوية (١٠٪) وتؤكد وثائق الجمعية أنها تمكنت من إجتثاث الجريمة من إحدى المناطق التي تعرض حوالي (٨٥٪) من منازلها للسرقة في فترة سابقة كما ساهم نشاط الجميعة في تقليص حجم الجريمة بنسبة (٧٥٪) في حي آخر

وفي الولايات المتحدة على سبيل المثال يقوم سكان الحي الواحد بدور بارز في محاربة الجريمة وذلك بتوزيع النشرات التحذيرية عن المجرمين، ووضع إشارات للمنازل المراقبة من الجيران إلخ ما هنالك من الأمور التحذيرية التي تساعد على تكاتف أبناء الحي على محاربة الجريمة.

كما يمكن أن يقوم الجيران بدور مهم في الوقاية الأمنية عن طريق التناصح، فالجار إذا رأى من جاره ما يخل بالأمن أو يسبب الفساد فإنه ينصحه فان لم يرتدع فيهدده بالنظام فإن لم يرتدع يبلغ عنه. وتبرز الحاجة إلى ذلك بصورة أكبر في المجتمعات الحضرية حث يكون أفراد المجتمع غيرمتجانسين، وتعدم الضوابط العرفية، والعادات، مما يجعل الحاجة تنشأ بصورة أكبر إلى تكاتف أفراد الحي في نبذ كل ما يخل بالأمن والتعاون لتطهير

الحي من كل ما يقود إلى الجريمة أو انحراف السلوك. فرجل الأمن لا يستطيع أن يكون حاضراً في كل منزل ولكن عندما يتحول أفراد الحي إلى عيون، وآذان لرجال الأمن يشعر المجرم بالخوف، وتقل الجريمة ويسود الأمن والطمأنينة.

ـ الصدق في القول:

ومن الأمور المهمة التي يجب مراعاتها في حالة التعاون الأمني بين المواطن ورجال الأمن الصدق في القول، فالبلاغات الكيدية، وتحريف الحقائق لمساعدة الآخرين يؤدي إلى تضليل العدالة، مما يعطي فرصة كبيرة لاتساع دائرة الانحراف وانتشارها. كما يؤدي إلى ارباك العمل في الأجهزة الأمنية، فالصدق في القول سواء في الإدلاء بالمعلومات أو في البلاغات يعد مطلباً اجتماعياً يجب السعي إليه، لما لذلك من قيمة كبيرة في الوقاية الأمنية.

ـ تقديم الشهادة:

أما الوسيلة الثالثة فتتمثل في الإدلاء بالشهادة عند الحاجة إليها لتوضيح أمر ما أو استجلاء موقف معين ويساعد إدلاء المواطنين بالشهادة رجال الأمن في تحقيق العدالة، فكتم الشهادة يعد مخالفة شرعية، لما يترتب على ذلك من إلحاق الضرر بالبعض. كما أن الإدلاء بالشهادة يعد إحدى الوسائل المهمة للوقاية الأمنية لتحديد الجاني، ودرء الظلم عن المظلوم وتحقيق العدل.

ـ تغليب مصلحة الوطن:

وتعد هذه الوسيلة من أهم الوسائل وخاصة في مجتمع مثل المجتمع العربي الذي تمثل فيه الواسطة، والمحسوبية أهمية كبيرة، مما يجعل الحاجة

ماسة إلى تنمية الشعور الوطني لتحقيق الأمن والوقاية الأمنية. فتغليب المصلحة الوطنية على المصالح الشخصية، والقبلية يساعد على القضاء على ظاهرتي الواسطة والمحسوبية اللتين تشكلان مشكلة كبيرة في الوطن العربي. فعندما يشعر المواطن أن مصلحة الوطن أهم وأبقى من مصلحة الفرد فإنه بذلك لن يتهاون في التبليغ عن كل ما يراه من انحرافات أو جرائم تخل بأمن الوطن حتى ولو كان ذلك سيضر بأشخاص مقربين إليه أو ربما يمسه بعض الضرر من المجتمع المحيط به ويتطلب تعميق مثل هذا الشعور حملات مكثفة من التوعية الأمنية بكافة الوسائل وعلى كافة الأصعدة، وترسيخ القيم الوطنية في نفوس النشء منذ الصغر

ـ التقيد بالأنظمة :

أما الوسيلة الخامسة من وسائل الوقاية الأمنية فهي ضرورة تقيد المواطن بالأنظمة وترسيخ احترام الأنظمة والقوانين الأمنية في نفوس النشء، ففي مجتمع مثل المجتمع العربي الحديث العهد بنظم الدولة الحديثة تعد مخالفة القوانين من الأمور الشائعة في الكثير من الأمور الحياتية، كعدم التقيد بأنظمة المرور، وعدم التقيد بأنظمة السلاح من حمل واستخدام وعدم التقيد بأنظمة الملكيات الخاصة والملكيات الحكومية، وعدم التقيد بالعديد من الأنظمة المتعلقة بالعمل، والتوظيف إلخ. ما هناك من التجاوزات النظامية، مثل هذه التجاوزات تولد بلا شك العديد من المشكلات الأمنية كالمشاجرات، وجرائم القتل، والتعدي، وإتلاف الممتلكات إلخ. مما يعني ضرورة ترسيخ القيم والقوانين المنظمة للتعامل في المجتمع العربي، ومساعدة المواطنين على تجاوز القيم العشائرية المتعارضة مع أنظمة الدولة الحديثة.

٣ ـ المواطن كمسئول أو موظف:

أما الجانب الآخر من الدور الاجتماعي للمواطن فيبرز عندما يكون المواطن في دور المسئول فجرائم سوء استخدام السلطة متعددة الحالات سواء في المجالات المهنية أو التجارية، والاقتصادية، حجم هذه الجرائم الحقيقي غير معروف لأن هذا النمط من الجرائم يدخل تحت نطاق ما يعرف (بالأقارم المجهولة) (حسون والرفاعي. ١٤٠٨) ولتحقيق الوقاية الأمنية هناك العديد من الوسائل التي يجب على المواطن التحلي بها منها ما يلي :

ـ القناعة:

تتصف الطبيعة الإنسانية بحب المال، حيث يعد المؤشر الاقتصادي أحد المؤشرات المهمة للوضع الاجتماعي للأفراد في كافة المجتمعات والبيئات القروية أو الحضرية «إلا أن الثراء والطموح السائدين في مجتمع المدينة جعلا المال إلى حد كبير يعتلي قمة سلم القيم، ولبلوغ الهدف المادي يتحتم الأخذ ببعض الوسائل المشروعة كالتعليم والعمل أو غير المشروعة كالسرقات والنصب والاحتيال والتزوير» (حسون والرفاعي ١٤٠٨ : ٢٩). وتشير دراسة حسون والرفاعي ١٤٠٨هـ) إلى زيادة الجرائم المالية في بعض الأقطار العربية بشكل ملحوظ خلال العقدين الماضيين، كما زادت جرائم الرشوة في العديد من المجتمعات العربية حتى المجتمعات المحافظة منها. ولعل الحاجة إلى مجاراة الأوضاع الاقتصادية، والتغلب على مستويات الدخول المنخفضة والأنماط الاستهلاكية قد أوجد بيئة مناسبة إلى ظهور الجرائم المالية كالرشوة والسرقة، والاختلاس لسد العجز القائم في ميزانية الأفراد. مما يشكل خطورة أمنية وفساداً إدارياً في أي مجتمع تتفشى به تلك الأمراض الاقتصادية.

فانعدام القناعة لدى الموظف يجعله يستغل وظيفته لزيادة دخله المالي بشتى الطرق غير المشروعة كالسرقة أو الاختلاس، أو الارتشاء وما شابه ذلك فيلجأ إلى طرق عديدة لتسويف وتعطيل مصالح المواطنين، وهضم حقوقهم، لاجبارهم على دفع الرشاوى في سبيل إنجاز أعمالهم.

ولذا فإن ضرورة تقوية الوازع الذاتي والقيمي لدى الأفراد والمواطنين ونقوية القناعة الذاتية بالإيمان بحكمة الله عز وجل على توزيع الأرزاق والقناعة والرضى بما قسمه الله للفرد من غير تكاسل أو تواكل أمر ملح وضرورة قائمة حيث يمكن أن يقوم بتلك المهمة العديد من الجهات التعليمية في المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية والمساجد وغير ذلك.

لتحذير المواطنين من العواقب الاجتماعية والأمنية والإدارية للجرائم المالية وتوضيح الآثار الاجتماعية والقيمية المترتبة عليها والتي تنعكس سلباً على حياة الأفراد وعلى كافة الأصعدة الإدارية والاقتصادية. ولا يمكن تحقيق القناعة إلا بزيادة الجرعة الإيمانية في نفوس المواطنين لتجنب كل طرق الكسب غير المشروعة باقتناع ذاتي دون الحاجة إلى مراقبة إدارية.

ـ العدل :

العدل مطلب وحق لكل إنسان ولذا أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ... ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل)، فالعدل مطلوب في جميع تصرفات المسلم بين الأبناء، والزوجات، والأخوة، بل مع الغرباء، والأعداء، حيث أمر الأسلام بالعدل في كل حال ومع كل الناس في حال الرضا والغضب وفي الحب والكراهية (شاهين ١٤١٣ : ٣٨). يقول تعالى : ﴿ ... ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ... ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة).

وتتمثل الأهمية الأمنية في ضرورة تحلي المواطن المسئول بالعدل والإنصاف كوسيلة مهمة للوقاية الأمنية، لكون العدل في تطبيق الأنظمة على الجميع دون استثناءات أو محاباة وسيلة مهمة لرضى الجميع مهما كانت القرارات، بينما يؤدي الجور والظلم وعدم العدالة إلى إيغار الصدور، وإذكاء العداوات، مما يقوي العصبيات لطلب النصرة فينشط كل فرد لمناصرة عصبيته، فتسود الفوضى الإدارية وتحدث التجاوزات النظامية، فالعدل والمساواة ضرورة مهمة لكسب رضى الجميع واستتباب الأمن.

ـ التواضع وحسن المعاملة:

ومن الصفات المهمة التي يجب أن يتصف بها المواطن المسئول التواضع وحسن المعاملة، فالغلظة والشدة لا تولد إلا النفور والتمرد والعصيان. فالمدير المتواضع هو الذي يكسب ود العاملين معه واحترامهم مما يساعد على زيادة انتاجياتهم بينما الغلظة والشدة وخاصة إذا اقترنتا بعدم العدالة تؤديان إلى الكره وعدم الإنتاجية، وربما إلى العديد من المشكلات داخل المؤسسة مما يهدد استقرارها. كما أن العاملين في السجون ربما يكونو أداة فعالة في المساعدة على توبة المجرمين أو سببا مباشراً في تأصل الجريمة في نفوسهم عن طريق تعذيبهم وإهانتهم وعدم احترام آدميتهم مما يجعلهم يحقدون على المجتمع المحيط وينغمسون في عالم الإجرام كمحاولة للانتقام والتعويض.

ـ الإخلاص في العمل:

يعد الإخلاص في العمل من أهم الوسائل الوقائية، فعندما يقوم كل بعمله بإخلاص وإتقان تنقلص البواعث المشجعة على الانحراف والجريمة، بينما التكاسل والتغافل في أداء الواجب يشجع ذوي النفوس الضعيفة على

استغلال تلك الغفلة لتحقيق مآربهم وينطبق هذا على جميع العاملين في كافة القطاعات الأمنية وغير الأمنية فإخلاص رجل الحدود في عمله وعدم تغافله يساعد على منع التسلل والتهريب، وإخلاص رجل المرور في عمله يساعد على تقليص الحوادث بإذن الله. وإخلاص الشرطي في أداء واجبه يساعد على تقليص الجريمة، وهكذا فغفوة بسيطة من رجل الحدود قد تؤدي إلى كارثة وطنية، وتساهل بسيط من شرطي قد يؤدي إلى جريمة نكراء، بل إن ذلك لا يقتصر على رجال الأمن بمختلف قطاعاته بل ينطبق أيضاً على كل من هو في مكان المسئولية فالمدرس مطالب بالإخلاص في عمله لتخريج أجيال صالحة، والطبيب مطالب بالإخلاص في عمله لإنقاذ أرواح المسلمين وهكذا.

ولذا نجد أن الإخلاص في العمل يعد مطلباً شرعياً حث عليه الإسلام ورغب فيه.

ـ المحافظة على أسرار العمل:

أما الوسيلة الأخيرة فهي المحافظة على أسرار العمل. ويعد ذلك من أهم الوسائل، فلكل عمل يقوم به الفرد أهمية خاصة، فالفرد مؤتمن على أسرار عمله وإفشاء تلك الأسرار يكون له من الضرر الأمني ما لا تحمد عقباه، وقد يتساهل البعض في بعض أسرار العمل لبعض أقاربه أو أصدقائه أو معارفه من باب الثقة أو من باب الجهل بأهمية المحافظة على أسرار العمل، فيكون لذلك المردود السلبي البالغ الخطورة وخاصة إذا ما كان العمل له علاقة بالأمن العام للمجتمع، فقد يستفيد البعض من تلك المعطيات المتسربة مما يهدد أمن المجتمع واستقراره، ولا يقتصر ضرورة المحافظة على أسرار العمل على العاملين في القطاع الأمني بل إنها ضرورة مهمة في كافة الأعمال دون استثناء.

المراجع

المراجـــع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن تيمية تقي الدين أحمد، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية. دار الكتاب العربي، بيروت.

٣ ـ ابن خلدون عبد الرحمن (١٣٩٨هـ). المقدمة، الطبعة الرابعة.

٤ ـ الجزائري، أبو بكر (١٣٩٩هـ). منهاج المسلم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٥ ـ السعيد عبد الله عبد العزيز (د. ت). الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأسر المسجونين، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض.

٦ ـ النووي يحيى بن شرف (د. ت). رياض الصالحين. مكتبة الغزالي، بيروت.

٧ ـ بدر الدين عبد الوهاب محمد (١٤٠٨هـ). التوعية الوقائية من السرقة، أكاديمية نايف العربية، الرياض.

٨ ـ حسون تماضر زهري، الرفاعي حسين (١٤٠٨هـ). المشكلات الأمنية المصاحبة لنمو المدن والهجرة إليها، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٩ ـ شاهين سيف الدين (١٤١٤هـ). الآفات الثلاث. دار الأفق، الرياض.

١٠ ـ شاهين سيف الدين (١٤١٣هـ). حقوق الإنسان في الإسلام. مطبعة سفير الرياض.

١١ ـ صحيفة الرياض، العدد ١٠٩٥٩